بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بعنوان: الإيمان خشية الله في الغيب والشهادة

ألقاها سماحة الدكتور عبد الحميد عشاق – حفظه الله تعالى

قال الله تقدست أسماؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[1]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾[2].

خشية الله في الغيب والشهادة عظيمة الشأن، جليلة المعنى. أمرنا الباري جل وعلا بها فقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[3]، وهي ثمرة التقوى كما قال عروة ابن الزبير: «التقوى خشية الله»[4]، وحال من مقام الإحسان الذي عرفه النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[5]، أي إن كنت تستطيع أن تكون من أهل المقام الأول، أن تراه بعين بصيرتك؛ أن يستفرقك جمال الجميل بحيث تنشغل بالغائب عن الحاضر، إن كنت تستطيع أن تعبد الله على هذا النحو فافعل، وإلا فانتقل إلى المرتبة الثانية التي هي ألا يغفل الإنسان عن كونه في حضرة الله تعالى، بمعنى أن يلاحظ على الأقل أدب الحضور.

وقد جمع الله تعالى للذين يخشونه بالغيب ما فرقه على المؤمنين، وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان. فقال: ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾[6]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى

---

(1) الملك: 12.

(2) الأنبياء: 49.

(3) البقرة: 40.

(4) تفسير الطبري: (368/12).

(5) صحيح البخاري (مع الفتح): (20/1) ح50.

(6) الأعراف: 154.

ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[7]، فجعل الخشية مقاماً في العلم حققه بها، وقال جل ذكره: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[8]، ثم بشـرهم بالمغفرة والأجر فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[9].

ومن عظيم أجرهم أن النبي ﷺ بَشّـرهم بقوله: «سـبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشـابٌ نشـأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجل تصدّق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»[10]، فهؤلاء جميعا يشتركون في صفة دقيقة، ويتقاسمون خصيصة مشتركة وهي خشية الله في الغيب والشهادة، ولذلكم كانت الجنة مأواهم ومقامهم: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[11]، ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[12].

خشـية الله في الغيب والشـهادة اسم لحقيقة الإيمان، وسبب اجتناب كل نهي، ومفتاح إتيان كل أمر. وثمرة الخشـية: العلم بالله والحياء منه جل وعلا، وكلما ازداد الإنسان معرفة بالله ومعرفة لجلاله وكماله كان له أشد خشية وتعظيما وإجلالا.

إن الله يبتلي عبده أحيانا فتميل إليه المعصية أو يميل إليها، فيسهل عليه اقترافها في حال تواريه عن أنظار الناس، وهذا ابتلاء عظيم مؤداه هل الإنسان لا يخشى ربه إلا بمحضر الخلق؟ فهو بمجرد أن ينفرد بنفسه، يتحلل من لباس الخشية. قال جل ذكره:

---

(7) فاطر: 28.

(8) البينة: 8.

(9) الملك: 12.

(10) صحيح البخاري (مع الفتح): (168/1) ح660.

(11) البينة: 8.

(12) النازعات: 40-41.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[13]، فمهابة الله والأدب معه يلازم المؤمنين في الخلوات والجلوات، على خلاف من يظهر هذا السلوك أمام الناس رياء فإذا خلا بمحارم الله انتهكها.

فعلى المرء أن يبقى متيقظا من هفوات نفسه وآفاتها، وأن يذكر قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾[14]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[15]، وكان بعضهم يقول: «إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك»[16]، وفي الخبر المشهور: «ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات: فأما المنجيات: فخشية الله في الغيب والشهادة، وكلمة العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[17].

ولذلكم، كان من دعاء النبي ﷺ: «أسألك خشيتك في الغيب والشهادة»[18].

---

(13) المائدة: 94.

(14) البقرة: 235.

(15) الحديد: 4.

(16) طبقات الصوفية: (ص90).

(17) مصنف عبد الرزاق: (9/148/ح21530).

(18) سنن النسائي: ح1305.